اللغة العربية في النيجر

بين الماضي والحاضر وتطلعات المستقبل

د.علي يعقوب

الحمد لله الذي علم بالقلم علم الإنسان مالم يعلم، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

■ النيجر والعهد بالإسلام:

إن النيجر التي تغطي مساحتها ١,٢٦٧,٠٠٠كم مربع، وبكثافة سكانية تقرب من ١١ مليون نسمة تعتبر من الدول التي وصلها الإسلام في وقت مبكر جداً، منذ القرن الأول الهجري (السابع الميلادي)، على يد التابعي الجليل عقبة بن نافع الفهري عام ٤٦هـ الموافق ٦٦٦م، حيث توغل في الصحراء الكبرى بعد فتحه لمنطقة فزّان في ليبيا ثم تابع فتوحاته الإسلامية نحو الجنوب حتى وصل إلى منطقة كوار (KAWAR) الواقعة في الطرف الشمالي الشرقي للنيجر وهي تحمل نفس الاسم حتى اليوم في محافظة بِلْمَا (BILMA) بمنطقة أغاديس، ففتحها ودخل أهلها في الإسلام، ثم رجع إلى عدامس[1]. كان ذلك أول عهد بلاد النيجر بالإسلام.

ويرى بعض الباحثين أن النيجر عرفت الإسلام عن طريق التجار العرب الذين كانوا يفدون إليها من شمال أفريقيا للتجارة والدعوة، وقد كانت للعرب علاقات تجارية مع سكان المنطقة قبل ظهور الإسلام، واستقرت بعض القبائل العربية في المنطقة، وخاصة منطقة آيير (AIR)، وكان لهذين الأمرين إسهام فعال في نشر الإسلام فيما بعد .وهناك من يرى أن الإسلام إنما دخل المنطقة عن طريق فتح المرابطين للمنطقة في عام ٤٦٠هـ ١٠٧٦م بعد إسقاطهم لمملكة غانة شبه الوثنية، وهو رأي يحتاج إلى مناقشة؛ لوجود أدلة تثبت وجود الإسلام في المنطقة قبل فتح المرابطين، ومنه ما ذكره البكري[2] عن عاصمة غانة كومبي

١) انظر فتوحات مصر والمغرب لابن عد الحكم. ط٥. ١٩٥٥م. تحقيق علي محمد عمر. مكتبة الثقافة الدينية. القاهرة ص٢٢٢.

٢) أبو عبيد البكري. المعرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب. ص ١٧٥.

صالح: « ومدينة غانة مدينتان سهليتان إحداهما المدينة التي سكنها المسلمون، وهي مدينة كبيرة وفيها اثنا عشر مسجداً أحدها تقام فيه الجمعة، ولها الأئمة والمؤذنون والراتبون وفيها فقهاء وحملة علم ...، وفي مدينة الملك مسجد يصلي فيه من يفد عليه من المسلمين على مقربة من مجلس حكم الملك».

وأضاف البكري أيضاً: «فأهل التكرور اليوم مسلمون... أسلموا على يدي وارجابي بن رابيس الذي أسلم وأقام عندهم شرائع الإسلام، وحملهم عليها، وتوفي وارجابي سنة ٤٣٢هـ[١]. هذا الرأي كذلك غير مقبول؛ فليس يعقل أن يدخل الإسلام في الجزء الشرقي من المنطقة منذ القرن الأول الهجري ولا يصل إلى غربها إلا في القرن الخامس الهجري، مع أن التجار المسلمين كانوا يجوبون المنطقة للتجارة والدعوة. يمكن القول أن الإسلام كان موجوداً قبل فتح المرابطين، ولكنه لم يزدهر ولم تقم له دولة إلا بعد فتح المرابطين الذين أسقطوا دولة غانة التي كانت تحت حكام غير مسلمين، وأقاموا على أنقاضها دولة مالي الإسلامية التي حكمت بعض أجزاء من غرب النيجر، ثم مملكة سنغي التي وصلت إلى أغاديس وكانز.

وبدخول الإسلام إلى النيجر وانتشاره المبكر دخلت اللغة العربية البلاد وأخذت في الانتشار.

■ ماضي اللغة العربية وحاضرها في النيجر:

أولاً : ماضي اللغة العربية في النيجر:

نقصد بالماضي الفترة من قيام دولة مالي الإسلامية وحتى دخول الاستعمار الفرنسي البلاد ووجوده إلى عام ١٩٥٧م، حين تم افتتاح المدرسة العربية النظامية الأولى في مدينة ساي. وسوف نتطرق بإيجاز شديد للدولة التي شملت أجزاء من النيجر في أوج توسعها، وذكر العلماء ومراكز العلم فيها، ثم عهد الاستعمار وأهم المراكز فيه والعلماء آنذاك.

دولة مالي الإسلامية (غرب النيجر):

قامت دولة مالي الإسلامية عام ٦٣٨هـ ١٢٤٠م، وضمت أجزاءً من غرب النيجر، وخاصة في عهد سلطانها موسى كنكن الذي قام بجهود كبيرة في خدمة الدعوة ونشر العلم، من ذلك : استقدامه بعض العلماء معه بعد رحلة قام بها للحج مثل (الشيخ إبراهيم الساحلي والقاضي عبد الرحمن التميمي والشيخ عبدالله البلبالي)، وجلبه كتباً كثيرة من الحرمين ومصر. لقد نمت وازدهرت في عهد السلطان موسى الثقافة العربية والإسلامية، واشتهرت بعض المدن بوصفها مراكز للعلم، مثل: نياني العاصمة وتنبكت وجني وغاو. وتوافد على هذه المدن العلماء وطلاب العلم من داخل المملكة وخارجها، كما كان السلاطين يبتعثون الطلاب إلى مراكز الشمال الإفريقي والمغرب للدراسة، وقد بعث السلطان موسى كنكن بكاتبه إلى فاس بالمغرب للدراسة[٢]، وبعد رجوعه أسند إليه إمامة الجامع الكبير بمدينة تنبكت، وظل إمامه أربعين سنة. كانت اللغة العربية هي لغة الثقافة والتعامل التجاري ودواوين الدولة، غير أن العامة كانوا يتحدثون باللغات المحلية، وكان الآباء يهتمون بتعليم أبنائهم القرآن اهتماماً بالغا [٣].

اهتم سلاطين مالي بنشر الإسلام ولغته وأسسوا مراكز كثيرة للتعليم مثل: أغاديس (AGADEZ) وتغيدا (TIGEDDA) في النيجر

١) المصدر السابق.

٢) انظر تاريخ السودان للسعدي. ص ٥١.

٣) انظر رحلة بن بطوطة ص ٧٩٠.

وانْدُنْغا (INDOUNGA) التي كان أسكيا محمد يرسل إليها التلاميذ لحفظ القرآن الكريم، وقد اشتهرت الدولة بعلماء كبار في مجال العلوم الشرعية واللغوية والاجتماعية، وصلتنا مؤلفات بعضهم مثل: الشيخ أحمد بابا العالم المشهور، ومن مؤلفاته: (نيل الابتهاج بتطريز الديباج)، وهو كتاب مهم جداً في تراجم علماء المنطقة وعلماء شمال إفريقيا والمغرب وملامح الحياة الاجتماعية والعلمية في المنطقة، ومنهم محمود كعت صاحب (تاريخ الفتاش)، وكان معاصراً لأسكيا محمد توري وصاحبه في رحلته إلى الحج، وكتابه مرجع مهم في تاريخ المنطقة في عهد إمبراطورية سنغي، والشيخ عبد الرحمن السعدي صاحب (تاريخ السودان)، والشيخ أحمد بعغيغ الذي يلقب بشيخ الإسلام.

وممن وفد إلى سنغي في عهد أسكيا محمد:

- الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، الذي استفتاه أسكيا محمد في عدة مسائل دينية وسياسية، وقد قام الشيخ محمد عبد الكريم بجهود كبيرة في تأسيس المدارس القرآنية في مدينة تغيدا.
- الشيخ العاقب بن عبد الله التغداوي الأغدسي، وله مؤلفات عدة، منها: كتاب: (أجوبة الفقير عن أسئلة الأمير)، ويقصد بالأمير (أسكيا محمد)، وهي أجوبة عن أسئلة وجهها له الأمير وهو ما يدل على مكانته العلمية، وله كتاب: (وجوب الجمعة بقرية أنو سمان) في قرى تغديا ؛ حيث أنكر بعض الناس إقامة الجمعة في قريته لقلة سكانها فألف الرسالة في الرد عليهم[1].
- الشيخ شمس الدين بن النجيب التجداوي الأنوسماني، وقد وصفه الشيخ أحمد بابا بقوله :» أحد شيوخ عصره معه فقه وصلاح شرح مختصر خليل بشرحين: كبير في أربعة أسفار، وصغير في سفرين، وله أيضاً تعليق على المعجزات الكبرى للسيوطي»[2]، وقد استقر الشيخ شمس الدين في أغاديس إلى أن توفي فيها.

دولة البرنو الإسلامية (شرق النيجر):

شهد شرق النيجر قيام دولة البرنو الإسلامية التي كانت تضم منطقة زندر وما جاورها، ومن علمائها: الشيخ أحمد بن فرتو المعاصر للماي إدريس ألوما أشهر مايات الدولة ٦٩٩/٧١٧هـ، وتعتبر مؤلفات الشيخ أحمد من المراجع الأساسية لتاريخ برنو، وخاصة فترة إدريس ألوما، ومنهم الشيخ عمر بن عثمان العالم واسع الاطلاع، وكان متقناً لعلوم اللغة العربية والبلاغة والشريعة والتوحيد فضلاً عن القرآن والحديث[3].

كانت مدارس القرآن الكريم والحلقات العلمية منتشرة في مملكة البرنو، وهذا ما لفت نظر بعض الرحالة الأوروبيين في عاصمة البرنو كَوكَو حيث قال: « ونالت كوكه المدرسة العليا الممتازة، ويدرس فيها قرابة مائتين إلى ثلاثمائة من الشباب»[4].

عندما قامت خلافة الشيخ عثمان بن فوديو في المنطقة في القرن التاسع عشر الميلادي، أولت اللغة العربية وآدابها والعلوم الشرعية اهتماماً كبيراً ساعد على ازدهارها وانتشارها، بصورة لم تشهدها في الدولة الإسلامية السابقة؛ وذلك لأن الدولة في خلافة صكتو أسسها العلماء وكان هدفهم إصلاح العادات

١) انظر نيل الابتهاج بتطريز الديباج لأحمد بابا، ص ٣٤٨ بهامش الديباج المذهب.

٢) أحمد بابا، نيل الابتهاج، ص ٣٤٨.

٣) إمبراطورية البرنو الإسلامية لإبراهيم طرخان، ص ١٧٧.

٤) رحلة عبر إفريقيا، رولفس ترجمة عماد الدين غانم، مركز جهاد الليبيين، ط ٩٦، ص ٤٥٠.

والتقاليد المخالفة للإسلام في منطقة إمارات الهوسا؛ فلذلك اهتم علماؤها بالتأليف أكثر من غيرهم، واهتموا باللغة العربية فتعلموها وأتقنوها غاية الإتقان حتى ظهر منهم الأدباء والخطباء والشعراء، ومن أحسن ما يمكن أن يستشهد به المرء من أشعارهم القيمة جيمية الشيخ عبد الله بن فوديو في مدح شيخه جبريل بن عمر الأغدسي مؤسس الحركة الإصلاحية في المنطقة والذي يلقب بشيخ الإسلام في السودان الغربي، وهو أستاذ للشيخ عثمان بن فوديو وأخيه عبد الله، درسا عليه في مدينة أغاديس، وتوفي في منطقة تاوا بعدما أخرجه الطوارق من أغاديس لأفكاره الإصلاحية رحمه الله تعالى، والقصيدة على نهج القدماء استهلها بالبكاء على الأطلال والتصريع، ثم انتقل إلى مدح شيخه جبريل ومنه :

جبريل من جبر الإله به لنا
دينا حنيفا مستقيم المنهج[1]
وافى وحزب ضلالة في تلعة
والدين في وهد كشيء بهرج
فأزاح عنه حنادس الأعلاج من
عاداتهم وكساه حلة زبرج
لم يخش في إظهار دين الله من
مستهزئ أو لائم متمجمج

وللشيخ عبد الله بن فوديو مؤلفات أخرى في الصرف والنحو والبلاغة والتفسير.

كانت صكتو (SOKOTO) العاصمة، وكانو (KANO)، وزندر (ZINDER)، وغيرها من المدن مراكز علم يقصدها طلاب العلم من أرجاء المنطقة.

إمارات وسلطنات شمال النيجر :

في شمال النيجر قامت عدة إمارات وسلطنات طوارقية وعربية، وكانت لها إسهامات أدبية ولغوية. ومن علمائها المشهورين : الشيخ جبريل بن عمر الذي سبق ذكره، والشيخ حَدَاحِدَا، الذي قام بحركة إصلاحية في منطقة أزواغ (AZAWAG)، وكان متشدداً في الأمور.

كما كان لقبيلة كنتة العربية دور هام في حفظ اللغة العربية دراسة وتدريساً في شمال تاوا ومالي، ومن أشهر علمائها: الشيخ سيدي المختار الكبير، وابنه محمد، والشيخ باي بن سيدي عمر الكنتي، وغيرهم، وقد تركوا لنا مؤلفات عدة في العلوم الشرعية واللغوية. وظلت العلاقات الثقافية تربط علماء المنطقة بحكام صكتو، وكانت بينهم مراسلات علمية كثيرة.

■ فترة الاستعمار:

بدأ الاستعمار الفرنسي لبلاد النيجر في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، وكانت مقدَّمَته البعثات الاستكشافية الأوربية للمنطقة بذريعة استكشاف منبع نهر النيجر ومصبه، مثل: بعثة مغو بارك، وبعثة كلابرتون وبارث، ولقد زادت نتائج هذه البعثات الاستكشافية من مطامع الحكومات الأوربية في المنطقة؛ فنظمت حملات عسكرية لاحتلال البلاد، وتمكنت بعد معارك عدة وإراقة دماء كثيرة بين الجانبين من السيطرة على البلاد كاملة عام ١٩١٩م.

وجد الاستعمار أن اللغة العربية هي لغة التعامل والثقافة، الأمر الذي اضطره إلى استعمالها في بداية سيطرته على البلاد، وذلك في المراسلات وعقد الاتفاقيات بين السلطات المحلية وسلطات الاستعمار[2].

كانت بعض مدن النيجر تمثل مراكز لتعليم

١) انظر تزيين الورقات ص ٩.

٢) انظر: على يعقوب. اللغة العربية وآدابها في النيجر في عهد الاستعمار. اطروحة الدكتوراه ٢٠٠٥م ص ١٨.

الدين الإسلامي واللغة العربية في البلاد كما تقدم، مثل: مدينة ساي، وزندر، وأغاديس، ومنطقة أزواغ وآير، وسيندر في عهد الشيخ يوسف خليل؛ وقد برز في تلك المدن علماء كثيرون، مثل: الشيخ حسن سليمان في زندر، وباي الكنتي في أزواغ. ولما هيمن الاستعمار على البلاد كان للعربية والتعليم شيوع في المجتمع؛ حيث بلغ عدد المدارس القرآنية في النيجر سنة ١٩١٤م حوالي ٩٣٢ مدرسة، وبلغ عدد التلاميذ ٤٢١٣ تلميذاً، وفي سنة ١٩٢٠ بلغ عدد المدارس ٩٧٠ مدرسة، وعدد التلاميذ ٤٣٢١ تلميذاً (٣٩)[١]. أخذ الاستعمار يعمل على محاربة اللغة العربية بحجة أنها من أسباب عرقلة حكام المناطق من الفرنسيين، وقد أشار إلى ذلك حاكم عام فرنسا بإفريقيا الغربية (١٩٠٨ /١٩١١م) وليام بونتي في المرسوم الذي أصدره يوم ١٩١١/٥/٨م، وهو موجه إلى حكام المستعمرات التابعة له كالنيجر والسنغال: «لقد أثار انتباهي ما يحدث من عراقيل بسبب استعمال اللغة العربية الذي يمكن أن يقال: إنه منتظم في تحرير الأحكام الصادرة عن القضاء الأهلي، وفي المراسلات الرسمية مع الرؤساء والأعيان، وفي كل ظروف الحياة الإدارية تقريباً .. وهي اللغة المقدسة في نظر السود»[٢]. وانطلاقاً من هذه الفكرة كثفت السلطات الاستعمارية جهودها في مكافحة اللغة العربية في النيجر وفي غيرها من المستعمرات الفرنسية ذات الأغلبية الإسلامية في غرب إفريقية، واستخدمت لذلك عدة وسائل منها:

١ - فرض قيود صارمة على استيراد الكتب العربية من البلدان الإسلامية، ومنها منع الحجاج من جلب الكتب الدينية والعربية معهم عند رجوعهم من الحج.

٢ - منع افتتاح المدارس العربية إلا بعد الحصول على إذن من السلطات، مع التشديد في شروط الحصول عليه.

٣ - إحصاء كتب العلماء بغرض حصرها وفرض الرقابة عليها، مثل ما فعلوا مع الشيخين: حسن سليمان، وأحمد كيار في مدينة زندر[٣].

٤ - حصر المدارس القرآنية ومدرسيها في طول البلاد وعرضها.

إن هذه السياسات والإجراءات التي اتبعها المستعمر لمحاربة اللغة العربية والقضاء عليها في النيجر لم توهن عزائم علماء العربية وطلابها في النيجر وغيرها، بل زادتهم حرصاً على المحافظة على الإسلام ولغته.

■ مقررات الحلقات العلمية في العلوم الإسلامية والعربية :

يجدر بنا أن نذكر بعض الكتب المقررة في الحلقات العلمية في النيجر في تلك الفترة، وهي التي كانت مقررة من قبل، ولا تزال تدرس حتى اليوم في الحلقات.

مقررات العلوم الشرعية :

في العلوم الشرعية كانوا يبدأون بمتون الفقه المالكي؛ إذ هو المذهب السائد في المنطقة فيبدأون بمتن الأخضري، ثم العشماوي، ثم العزية، ثم الرسالة، ثم العسكر، فرسالة مختصر خليل. هذا في مجال النثر. وفي المنظومات الفقهية كانوا يبدأون بمنظومة القرطبي، ثم ابن عاشر، ثم ابن رشد، ثم مصباح

١) « عبد العلي الودغيري. اللغة العربية في منطقة جنوب الصحراء:الماضي والحاضر والمستقبل .http://www.isesco.org.ma/arabe/publications/Langue_arabe/p22.php

٢) عبد العلي الودغيري. الفرنكفونية والسياسة اللغوية والتعليمية الفرنسية بالمغرب ص ٢ـ ١٩٩٣م. ص ٧٩.

٣) انظر بول مارتي. الإسلام والقبائل في مستعمرة النيجر ص ٣٥٣.

السالك، ثم تحفة الأحكام. كما كانوا يدرسون إلى جانب كتب الفقه كتب الحديث الشريف، وتفسير الجلالين.

مقررات علوم اللغة العربية :

كانت مقررات علوم اللغة العربية تختلف باختلاف مناطق البلاد، فمثلاً نجد المناطق الصحراوية تولي النحو والصرف اهتماماً أكثر من غيرها، فيبدأون في النحو والصرف بملحة الإعراب والآجرومية، وقطر الندى، ثم ينتقلون بعدها إلى ألفية ابن مالك، والكافية الشافية لابن الحاجب، وقد يزيدون جمع الجوامع للسيوطي. أما في الأدب فنجد من الكتب المقررة آنذاك: مقصورة ابن دريد، والعشرينات، والدالية، والشعراء الجاهليين. كما كان للقصائد الجاهلية عندهم منزلة واهتمام كبير، وقد أشار محققها الشيخ مصطفى الشقا في مقدمة تحقيقه إلى أن السبب الرئيسي في تحقيقه لقصائد الشعراء الجاهليين هو رغبة طلاب العلم في إفريقية الغربية أن يخرج لهم طبعة منها، وأرسلوا إليه نسختين منها وذلك في عام ١٩٢٩م، وعلى النسختين تعليقات تشرح بعض الكلمات. وفي مجال النثر الأدبي لا نجد عندهم إلا مقامات الحريري. ثم إنه من الملفت للنظر أن المقررات الأدبية وبخاصة الشعر تكاد تنحصر في الشعر الجاهلي، ومدح النبي صلى الله عليه وسلم، ولا نجد لشعر العصور الأدبية المزدهرة وشعرائها وجوداً، مثل: شعراء العصر الأموي،كالفرزدق وجرير، أو العصر العباسي، مثل: على بن الجهم وأبي تمام والبحتري وغيرهم، ولعل السبب في ذلك عدم وصول أشعارهم إليهم. وفي البلاغة التي كانت تدرس في بعض الحلقات الشمالية، نجد عندهم: عقود الجمان للسيوطي، والجوهر المكنون للأخضري.

وأما علماء تلك الفترة فقد كانوا على قسمين:

القسم الأول: العلماء الذين درَّسوا قبل مجيء الاستعمار، واستمر بعضهم في التدريس في فترة الاستعمار، ومنهم من جاهد بسيفه وقاوم الاستعمار بكل بسالة حتى استشهد كالشيخ شعيب الضرير في منطقة جنوب دوسو الذي قاتل حتى قتل شهيداً، والشيخ محمد كاوسن ذلك العالم المجاهد الذي اشتهر عند بعض الناس بجهاده، ولم يشتهر جانبه العلمي والديني، فكاوسن كان عالماً قبل أن يكون قائداً للمقاومة، وقد ولد في منطقة دَمَرْغُو، ونشأ فيها ثم رحل إلى شمال تشاد وجنوب ليبيا لطلب العلم، ولازم الشيخ أحمد الشريف السنوسي، والشيخ محمد العابد الذي عينه قائداً لقواته لمواجهة تقدم الفرنسين في شمال تشاد، واستطاع الشيخ كاوسن دحر القوات الفرنسية في معارك عدة، وواصل سيره حتى دخل مدينة أغاديس واستردها من الفرنسيين.

قتل الشيخ محمد كاوسن في ١٩١٩/٠١/١٥م على أيدي بعض خصومه في ليبيا، وترك رسائل عدة باللغة العربية كان قد أرسلها إلى زعماء الطوارق وأسرته يبين لهم هدفه من الجهاد، ويحثهم على الخروج للجهاد في سبيل الله تعالى، وتثبت تلك الرسائل علو كعبه في اللغة العربية والعلوم الشرعية، رحمه الله تعالى[1].

ومنهم الشيخ عثمان بن سميو الفلاتي وهو من الغرب (أي غرب البلاد)، لكنه استقر في منطقة أزواغ بعد عودته من رحلة الحج للتعليم والإصلاح الديني، فكتب إلى سلاطين المنطقة عدة رسائل في النصيحة والأمر بالمعروف

١) محمد القشاط، من قيادات الجهاد الإفريقي محمد كاوسن، ط١ عام ٢٠٠٠م الرياض، ص ١٤.

والنهي عن المنكر، ولما استولى الفرنسيون على المنطقة في عام ١٩٠٠م هب للجهاد في سبيل الله وشارك في معارك عدة حتى سقط شهيداً في معركة من المعارك عام ١٩٠١م. تولى من بعده ابنه عبد الله بن عثمان مكانه، واستمر في نشاطات أبيه العلمية. ومن العلماء من اكتفى بالعلم والتعليم، كالشيخ يوسف بن خليل سندر في منطقة تيلابيرى والذي تلقى تعليمه في صكتو ثم عاد إلى قريته للتدريس، وكان طلاب العلم يتوافدون عليه من أنحاء المنطقة ومن مالي، وكانت له مكتبة عامرة زاخرة بالكتب، وقد وجد عنده بعض الفرنسيين نسخة من (تاريخ الفتاش)، وأخرى من (السعدي)، وحملها معه إلى باريس للطباعة.

ومن العلماء كذلك الشيخ حسن بن سليمان في مدينة زندر وكان في زمانه بمثابة شيخ الإسلام في منطقة زندر، قال بول مارتي في وصفه: « ...من العلماء الذين يحتلون المرتبة الأولى في مجتمع زندر خاصة والنيجر عامة»[1]، وقد عينته سلطات الاستعمار كاتباً ومترجماً لها في المحكمة، وكانت له حلقة علمية في حي سابُنْ غري في زندر.

ثانياً: العلماء الذين ولدوا أيام الاستعمار أو كانوا صغاراً عند مجيئه فدرسوا في أيامه ودرّسوا، منهم العالم الجليل الشيخ محمد بن محمد الشفيع الذي ولد عام ١٩٠٦م في أزواغ وتعلم عند علمائها وعلماء كنته، وهو عالم متضلع في العلوم الشرعية واللغوية، له مؤلفات عدة ودواوين شعر وهي عند ابن عمه أحمد بن محمد الشفيع المعاصر، وقد توفي ١٩٤٥م. ومنهم الشيخ حسن لاتا من منطقة تيلابيري، وقد ارتحل إلى الحجاز في طلب العلم والتحق بدار الحديث في مكة المكرمة، وبعد تخرجه رجع إلى النيجر واستقر في قريته لاتا على نهر النيجر غرب نيامي، وتفرغ للعلم وطلابه إلى أن توفي عام ١٩٦٩م. ومنهم الشيخ سومي وِنْدباغُو في منطقة دوسو، وقد تلقى تعليمه في شمال نيجيريا في صكتو خاصة، ثم رجع وتفرغ للعلم وطلابه إلى أن توفي في ثمانينات القرن الماضي. ومنهم الشيخ جنيد بن يوسف في غوري، وكثير غيرهم.

■ حاضر اللغة العربية:

يبدأ من فترة الاستقلال بعد افتتاح المدرسة النظامية المعاصرة.

في عام ١٩٥٨م نالت النيجر الحكم الذاتي بعد إعلان جمهورية النيجر، وكان أول ما طلبه السكان هو إنشاء مدرسة عربية عصرية نظامية، فافتتحت المدرسة النظامية الأولى في مدينة ساي، ووضعت تحت إشراف وزارة الداخلية إلى عام ١٩٥٦م حيث ضُمت إلى وزارة التربية الوطنية.

بعد أن نالت النيجر استقلالها عام ١٩٦٠م كان أول عمل قامت به الحكومة الوطنية في مجال خدمة اللغة العربية هو إرسال البعثات العلمية إلى البلدان العربية لدراسة الإسلام واللغة العربية، وكان من طلاب البعثات الأولى: الشيخ عمر إسماعيل، والشيخ خالد جبو، والشيخ أبو بكر دتيا، والدكتور علي ليمان، والحاج عمر أحمد أول سفير للنيجر في البلدان العربية، ثم الدكتور سيد مهيب، والشيخ بخاري تانودي الذي أُرسل إلى معهد العلوم الشرعية في كانو، والبيهقي. ولما رجعوا حملوا لواء تعليم اللغة العربية والعلوم الإسلامية في البلاد.

في عام ١٩٧٤م افتتح أول معهد عربي إعدادي الإعدادية الخامسة بتمويل من ليبيا،

(١) بول مارتي، المصدر السابق، ص ٤٠٢.

وفـــي عام ١٩٨٠م افتتح معهد إعدادي آخر في مدينة زندر، وفي عام ١٩٨٤م افتتحت مدرسة عربية ثانوية فـــي نيامي، وفي ١٩٩٤م افتتحت ثانوية عربية ثانية في مدينة مِرّيا بمنطقة زندر.

في عام ١٩٨٦م توجت هذه الجهود بافتتاح الجامعة الإســـلامية في النيجر، وبذلك اكتمل سلم التعليم العربي في النيجر.

أمـــا في المجـــال الإداري فقد تم في عام ١٩٧٩م إنشـــاء إدارة التعليـــم العربي في وزارة التعليم العربي لتشرف على التعليم العربي في البلاد الذي أخذ يتوســـع، وعين الشيخ القاسم البيهقي رحمه الله تعالى أول مدير لها وهو من أوائل خريجي الأزهر.

(وفي عام ١٩٩٢م أنشـــئت مفتشية خاصة للتعليم العربي، ثم أنشـــئت الإعداديات العربية فـــي كل المناطق، وكان لبعـــض الدول العربية مســـاهمات فعالة في دفع عجلـــة تعليم اللغة العربية في النيجر، منهـــا الجماهيرية العربية الليبية التي بنت الإعداديـــة الأولى في البلاد ووفرت لها المقررات والمدرســـين، ومنذ عام ١٩٩٧م ظلـــت تتكفـــل ببعض المدرســـين في جميع المســـتويات ابتداءً مـــن الابتدائية إلى الجامعة. كذلك الأزهر الشـــريف كان يساهم بعدد من المدرسين كل عام من ستينات القرن الماضي إلـــى اليوم، وكذلـــك المملكة العربية السعودية تقدم جهوداً كبيرة، وقد افتتح مؤخراً مركـــز الأمير ســـلطان الثقافـــي بالتعاون مع حكومـــة النيجر، وهو يعد أضخم مركز تعليمي ثقافي في غـــرب أفريقيا ويســـتهدف طلاب العلم كافـــة في عموم دول غـــرب أفريقيا)[1]، (كمـــا تقـــوم الهيئـــات التعليميـــة والثقافية الســـعودية بجهود كبيرة في مجال نشر العلوم العربية والإســـلامية داخـــل جمهورية النيجر، وقد أقامت المملكـــة عدة مدارس في النيجر، كمـــا وفرت الكتـــب والمراجـــع لمتعلمي اللغة العربيـــة، إضافة إلى تقديم المنح الدراســـية للطلاب النيجريين وقد أســـهم ذلك في إرساء وجود ثقافي وفكري عربي داخل النيجر.)[2]

(البنك الإســـلامي للتنمية له إسهامات كذلك في كفالة المدرســـين وبناء الفصول، وعقـــد الـــدورات التكوينية للأســـاتذة في مشـــروعه « برنامـــج دعم التعليـــم العربي الفرنســـي فـــي النيجـــر. إن البرنامج الذي يموله البنك الإسلامي للتنمية يشمل مجالات أخرى، منها: تنظيم التعليـــم القرآني، وفتح قنوات بينه وبين ســـوق العمل، ومحو الأمية عـــن طريق الحرف العربي باســـتخدامه في كتابة اللغات المحليـــة، وقد تم تدريب ١٢٠ معلمـــاً عربياً كمـــا افتتحت ١٠٠ مدرســـة ابتدائية حكومية جديدة،... إضافة إلى ست إعداديات وأكثر من ٢٠ مدرسة حرة.)[3]

ويمكن تلخيص ما تقدم فيما يلي:

- أن النيجر من الدول التي دخلها الإسلام في وقت مبكر في القرن الأول الهجري.
- أن للغـــة العربيـــة ماضيـــاً عريقاً في النيجر؛ حيث كانت اللغة الرسمية للممالك الإسلامية السابقة في النيجر.
- أن الاســـتعمار رغم محاولاته القضاء على اللغة العربية في النيجر إلا أنه لم ينجح وهو ما يدل على قوة تمكن اللغة العربية في المجتمع.
- أن حاضـــر اللغة العربية ومســـتقبلها يبشـــر بخير كثير؛ حيـــث يلاحظ الاهتمام بها، والإقبال على تعلمها وكثرة مدارسها من الابتدائية إلى الجامعة.

١) (بتصرف عن صحيفة البلاد الخميس ٣٠ إبريل ٢٠٠٩م)

٢) (بتصرف عن مقال بصحيفة الجزيرة الخميس ٩ ,شوال ١٤٢١)

٣) (بتصرف عن مقال بصحيفة الجزيرة الخميس ٩ ,شوال ١٤٢١)

■ مستقبل اللغة العربية في النيجر :

مؤشرات ومبشرات :

يتأكد المستقبل المشرق للغة العربية في النيجر من خلال جملة من المبشرات، أهمها :

❖ الاهتمام الذي تجده اللغة العربية من أبناء النيجر، وحرصهم على تعلمها، والتخاطب بها، إضافة إلى ما يبذل من الجهود الرسمية وغير الرسمية للنهوض بها، والاهتمام المتزايد في تقديم كافة أنواع الدعم المادي والفني من قبل بعض الدول العربية والإسلامية والمؤسسات التعليمية والتنموية وبعض الهيئات والمنظمات، داخل وخارج النيجر، ولاسيما منظمة الإيسيسكو.

❖ دور الجامعة الإسلامية بالنيجر التي يفد إليها طلاب الدراسات العربية والإسلامية من نحو عشرين دولة أفريقية. وهي تحتوي اليوم على ثلاث كليات للغة العربية والدراسات الإسلامية منها واحدة خاصة بالبنات فتحت بالعاصمة (نيامي) سنة ٢٠٠١م، بالإضافة إلى معهد عالٍ للتربية وتكوين أساتذة اللغة العربية والثقافة الإسلامية، ومركز إفريقي لإحياء التراث الإسلامي.

❖ أنها تعد إحدى اللغات الوطنية المعترف بها دستورياً في النيجر؛ ولذلك نجد جوازات السفر الصادرة عن حكومة النيجر تُكتب باللغتين الفرنسية والعربية.

❖ صدور بعض الصحف باللغة العربية، فمنذ سنة ١٩٩٥م إلى اليوم صدرت صحيفتان ومجلة ناطقة كلها بالعربية، وهي صحيفة (الوطن) التي ظهرت سنة ١٩٩٥م وصدرت منها ثلاثة أعداد ثم توقفت لظروف مالية، ومجلة (الواحة) التي صدرت منها بضعة أعداد ثم توقفت أيضا للسبب نفسه، وأخيراً صحيفة التواصل التي تواصل الصدور حالياً، وقد ظهر منها إلى حين كتابة هذه السطور تسعة أعداد.

❖ تصدر عن الجامعة الإسلامية بالنيجر منذ ١٩٩٥م دورية أكاديمية سنوية بعنوان: (حوليات الجامعة الإسلامية بالنيجر).

❖ تخصيص الإعلام المرئيّ والمسموع في النيجر وبعض دول المنطقة حصصاً أسبوعية قصيرة للغة العربية.)[1]

١) ((عبد العلي الودغيري اللغة العربية في منطقة جنوب الصحراء:الماضي والحاضر والمستقبل .http://www.isesco.org.ma/arabe/publications/Langue_arabe/p22.php